مجلة الاتحاد العربى للنشر العلمى
الإصدار الرابع عشر
المجلد (٤) العدد (١٤)
(١-١٢) ٢٠٢٣

United Arab Scientific Publishing Company

مجلة الاتحاد العربى
للنشـــر العلمـــى

فخار بيدر مفخرة التاريخ والهوية الجزائرية

عباس رضوان
(المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الانسان والتاريخ ، تلمسان، الجزائر)
نشر إلكترونياً بتاريخ:١ أبريل ٢٠٢٣ م

الملخص:

تعتبر الصناعات التقليدية وصناعة الفخار من أهم الصناعات والفنون التي تعبر عن هوية المجتمع وبها يقاس مدى تقدمه وازدهاره كما تمثل نبض حياته، ورمزا من رموز أصالتة وتاريخه وسمة من سمات تفرده وتميزه عن باقي المجتمعات الأخري، وذلك يفضل زخرفته ورموزه وأشكاله وطرق صناعته ومواده المستعملة وتاريخه.

التي اتمزجت مع الفنون المحلية والعالمية، من خلال تقنيات الزخرفة والرسوم على سطوح الآنية الفخارية، التي إزدانت واستنطقت مشاهدها التي تمثلت في الميتولوجية والحياة اليومية، والحياة العامة، والحياة في القصور والمعابد وصراع الحيوانات المنفذة باللون الأسود والأحمر التي راوحت بين المشاهد الطبيعية والهندسية والنباتية والحيوانية.

صناعة الفخار هي موروثا حضاريا ودليلا ثقافيا حيث أضحت وجهة سياحية بدون تأشيرة ، وتعد نشأة صناعة الفخار بالجزائر تلبية لحاجيات المواطن المعيشية ومورد رزق لعشرات العائلات وتحمل بساطتها هوية الوطن بكل أبعادها.

منطقة بيدر بتلمسان لازالت تحافظ على موروثها الثقافي والهوياتي بفضل هذه الصناعة التي تتفنن فيها أنامل النسوة رغم استعمالهن لطرق ووسائل جد تقليدية إلا أنهن يعتمدن صناعة الأواني الفخارية من أجل الاستعمال والتجارة، حيث يتم جمع الطين من الجبل ليغربل فيما بعد ويمزج مع بقايا الأواني الفخارية الهشة ليتحول إلى مورد رزق المئات من العائلات توراثت المهنة أبا عن جد. كما سنحاول التعرف على دلالة الاشكال الهندسية والرموز في كنف التاريخ وهوية المجتمع الجزائري

الكلمات المفتاحية:

(الفخار، الحرف والحرفيون، الصناعة التقليدية، السياحة، الثقافة، الهوية، التاريخ)

مقدمة:

تعتبر صناعة الفخار موروثا حضاريا ودليلا ثقافيا حيث أضحت وجهة سياحية بدون تأشيرة ، وتعد نشأة صناعة الفخار بالجزائر تلبية لحاجيات المواطن المعيشية ومورد رزق لعشرات العائلات وتحمل بساطتها هوية الوطن بكل أبعادها .

منطقة بيدر بتلمسان لازالت تحافظ على موروثها الثقافي والهوياتي بفضل هذه الصناعة التي تتفنن فيها أنامل النسوة رغم استعمالهن لطرق ووسائل جد تقليدية إلا أنهن يعتمدن صناعة الأواني الفخارية من أجل الاستعمال والتجارة، حيث يتم جمع الطين من الجبل ليغربل فيما بعد ويمزج مع بقايا الأواني الفخارية الهشة ليتحول إلى مورد رزق المئات من العائلات توراثت المهنة أبا عن جد. كيف تحاكي صناعة الفخار بمنطقة بيدر،بتلمسان تاريخ وهوية المجتمع الجزائري ؟ وماهي مميزاته وأشكاله الرمزية والدلالية التي تثبت عراقته التاريخية؟

الاطار الزمني والمكاني للدراسة: تمت الانطلاقة في العمل الميداني في ٠٧ جوان ٢٠٢٢، بمنطقة بيدر ولاية تلمسان دولة الجزائر، والعمل مستمر الى يومنا هذا

أهمية الدراسة :

لاشك أن للدراسة أهمية نظرية تتمثل في كونها احدى البحوث البينية كتوجه علمي أني، من خلال رسم علاقة بين متغيرين احداهما في مجالي الانثروبوسوسيولوجية والاخر في مجال التاريخ وهو بناء ملامح هوية المجتمع الجزائري في المستقبل بعيدا عن عن الدراسات الكولونيالية ، لذا فتعد هذه الدراسة اضافة في مجال الدراسات الانثروبوسوسيولوجية والتاريخية، كما تساعد على ترشيد رؤية ثقافية سياحية تساعد على تحسين عملية الاستقطاب السياحي وحوكمة القطاع الثقافي والسياحي في مجال الصناعة التقليدية .

أهداف الدراسة :

تنطلق الدراسة من هدف رئيس، هو معرفة اهمية الصناعة التقليدية وبالخصوص الفخارية في صناعة السياحة الثقافية في المستقبل: وينبثق منها عدة اهداف فرعية تتمثل فيما يلي:

_الوقوف على أهمية الصناعة التقليدية في خدمة قطاعي السياحة والثقافة

_التعرف على دلالة الاشكال والرموز في كنف التاريخ وهوية المجتمع الجزائري

منهجية البحث: اعتمدنا في عملنا على المنهج الاستقراء والتحليلي، من خلال استقراء تلك الاشكال والرموز التي اعتمدها الحرفي الجزائري في صناعته الفخارية، مع تحليل الوضع الراهن الذي يعيشه الحرفي في قطاع الصناعة التقليدية والتحديات التي تواجهه، ذلك اعتماد منا على العمل الميداني الذي شمل مجموعة من الحرفين وجمعيات حماية الفخار ومركز لتكوين المهني ومتحف الفن والتاريخ، ومساهمتهم في عملية نشر والترويج واعادة انتاج المعرفي لهذا العنصر.

الموقع الجغرافي:

قرية بيدر في شكلها الجغرافي تشبه المستطيل الذي يرمز الى الاتزان والقدسية فهي تجمع بين الماء واليابسة وتحمل على ترابها أكثر من ٥٦ ولي صالح، حسب ما قدمه "Gabriel Audissio " في دراسته حول قبائل مسيردة، فبيدر هي احدى قرى بلدية مسيردة المتميزة بشواطئها " بيدر وعين معروف" وصناعة الفخار التقليدي. حددت جغرافية المنطقة المعترف بها لمسيردة من طرف السلطات الفرنسية منذ عام ١٩٠٥ إلى غاية ١٩٢٣. بلدية مسيردة الفواقة، أو كما تعرف حاليا بأربوز يسكنها حوالي ٥٠٠٠ نسمة. وأصبحت بلدية مستقلة بذاتها بعد أن كانت تابعة لبلدية مرسى بن مهيدي ، وفقا لتقسيم عام ١٩٨٤.

يحد من الشمال يحدها شمالا البحر الأبيض المتوسط ، ومن الشرق دواوير سواحلية ، زاوية الميرا وترنانة التابعتين لبلدية ندرومة المختلطة ، أما جنوبا فتحدها قبائل العشاش ، والحدود الجزائرية المغربية ، وفق اتفاقية لالة مغنية المؤرخة في ١٨ مارس ١٨٤٥ (من المادة الثالثة وتعليلاتها المضافة ببروتوكول أول فبراير ١٩١٣) ، وأما غربا فيحدها كل من دوار عطية ببوكانون ، وواد كيس ، ودوار بني منقوش مرسى بن مهيدي ، ومساحتها تقدر بحوالي ٢٩٠٠٠ هكتار ، باستثناء الشريط الحدودي الممتد على ٤٠٠٠ هكتار تقريبا ، وقد بلغ عدد سكان المنطقة عام ١٩٢١ : ٦١٢ ، ١٢ ساكن ، والذين يقطنون ما يقارب الستين قرية تتمركز كلها على قمم الجبال-Gabriel Audissio, P : 76) (77، فهي قليلة الارتفاع ، والأودية الضيقة ذات مداخل صعبة جدا، وهي أربعين واديا ، أهمها: وادي كيس ووادي كيواردة .

تتميز منطقة بيدر ارتفاعها على سطح البحر حوالي ٢٠٠ الى ٦٠٠م وهي منعزلة عن القرى الأخرى بسبب الانحدارات والاخاديد والاودية العميقة و بمناخ شبه رطب مع وجود فصلين متمايزين بشتاء طويل وممطر وصيف حار وحاف يتراوح معدل التساقط بها ما بين ٤٠٠ الى ٥٠٠ ملم ، قليلة الغطاء النباتي مع بعض شجيرات الثويا والبلوط الاخضر (بن يوب محمد،٢٠٢١/١٠/١٧.(

-2 التواجد التاريخي لسكان منطقة بيدر"مسيردة :"

يبدو جليا بأن تاريخ منطقة -مسيردة- الواقعة في أقصى نقطة من غرب شمال الجزائر لا ينفصل تاريخها عن تاريخ بقية سكان شمال إفريقيا بوصفهم جزء لا يتجزأ من هذا الكيان الذي عرف أحداثا تاريخية متنوعة نظرا لجغرافية المنطقة التي شهدت غزواة كثيرة منها الوندال، والفينيقيون والروماني والاسلامي، والتركي والفرنسي، حيث خلفت هذه الاخيرة شواهد وآثار وذكريات لا تزال تحتفظ المنطقة بالكثير منها على تضاريسها ،وفي هذا الصدد يقول " Gabriel Audissio قلت بصوت عال بأن حوليات المغرب العربي احتفظت بأثر الأحداث التي جرت عبر السنين بهذه المنطقة ،لكن مهم جدا تسجيل بأن هذه المنطقة نفسها أحدثت أو حملت ذكريات لمراحل قديمة من العصور الوسطى أو ذات أثر قديم Gabriel) (Audissio , P : 88، ومن تلك الآثار الرومانية التي لا تزال موجودة في أماكن مختلفة من مناطق مسيردة، مثل: باب اللوح، باب اليهودي، باب القلعة، وبوزواغي وغير بعيد عن رأس القلعة، في مصب واد الكواردة، في نقطة تسمى (بلاد تبحريتي)، تقع في مصب وادي الكواردة، أين تعرف الكثير من الآثار الرومانية، تحتاج الى حفرها واظهارها، حسب ما أشار اليه البكري في القرن التاسع في بحوثه الجغرافية ،وليون الإفريقي في وصف إفريقيا وكذلك مارمول في كتاباته عن إفريقيا El Bekri Abou) Oubayd: P : 87).

_3التشكل الاثني والعرقي لسكان منطقة بيدر"مسيردة:"

يذكر الباحث محمد حسين الفرح في كتابه عروبة البربر أن الملك إفريقيس قام بتوطين قبائل أمازيغ بن كنعان بمدينة أفريقية وما حولها وما يليها من بلاد المغرب الأدنى (الجزائر) والمغرب الأقصى إلى ساحل المحيط. فكان توطينهم أشبه بنشر مستوطنات وقواعد تجارية على امتداد الطرق التجارية ولربط بعضها بالبعض الآخر في أرجاء بلاد المغرب شمال أفريقية) الشاسعة. كما ذكر ابن خلدون : أن إفريقيش ساق البربر من أرض كنعان وأنزلهم أفريقية ، وقال ابن الكلبي : « احتمل إفريقش الكنعانيين إلى المغرب وأسكنهم أفريقية، وأسكن معهم قبائل صنهاجة وكتامة من حمير » وقال نشوان الحميري وعبيد بن شرية الجرهمي : « أمر الملك إفريقيس ببناء مدينة أفريقية ، وأسكن فيها قبائل من قومه - وهم كتامة وعهامة وزناتة ولواتة وصنهاجة من جمير - وأسكن البربر بحيث هم من بلاد البربر (محمد حسين الفرح ، ص٥٠(

وإنما أن تسميتهم باسم البربر كان منذ أيامه ، وقد قيل إن اسم جدهم (بر بن قيس) وياسمه سميوا (بربر) ، (محمد حسين الفرح ، ص٥١)كم نوه الى أن عشرة من قبائل البربر الكبيرة ببلاد المغرب ليسوا من الأمازيغ وإنما هم قبائل جميرية قحطانية وليس هذا القول نظرية جديدة وإنما هو علم إستقصيناه المصادر التاريخية فقد ذكر العالم المؤرخ نشوان بن سعيد الحميري أن "كتامة وعهامة وزناتة ولواتة وصنهاجة قبائل ضخمة في المغرب من حمير " ، فتلك القبائل الخمس حميرية قحطانية، وتكتسب صنهاجة وكتامة أهمية أساسية لأن صنهاجة تزعمت سائر قبائل البربر بالمغرب زمناً طويلاً ولأن زمن استقرار صنهاجة وكتامة ببلاد المغرب هو نفس زمن استقرار قبائل البربر الأمازيغية الكنعانية هناك قال ابن خلدون في المقدمة : وذهب الطبري والجرجاني والمسعودي وابن الكلبي أن صنهاجة وكتامة من حمير (محمد حسين الفرح،ص٠٩(

فأما ما يتعلق بالتسمية - مسيردة فيروي Gabriel Audissio على لسان بعض الجغرافيين القدامى كسترابون " على لسان بعض الجغرافيين القدامى كسترابون " Strabon " ، أن السكان الذين يستقرون شرق ملوية هم (الماسيسيليان) ويعتبر أنهم أصل قبائل مسيردة الحالية ومن بعض القبائل المجاورة ، ويستنتج الباحث بأن المنطقة تعود إلى القرن الثالث من عصر موريتانيا القيصرية الرومانية السيزارية . (Gabriel Audissio , P : 79)

يرى الباحث عز الدين تربش أن العنصرين العربيين (أولاد عبد المؤمن ، وأولاد بن يحيى) يربط بينهم هو النسب الشريف أي أحفاد الرسول ﷺ كما يقال، وأولاد عبد المؤمن ينسبون إلى إدريس بينما أولاد بن يحيى فينسبون إلى مولاي عبد القادر الجيلالي . ومن خلال ما سبق يمكن معرفة الجد الشريف لأحفاد عبد المؤمن الذي قدم من قرطبة في القرن الثالث عشر مارا بمدينة سلا ، ومنطقة (سوس) ثم بني زناسن، حيث خلف أولادا واستقر كذلك بمنطقة بني منقوش قرب عجرود ثم نزل بقرية بيدر احدى قرى مسيردة (عزالدين تربش، ص٠٦). وبالرغم من هذه الاحتمالات والاعتقادات، يقول " :Gabriel Audissio قد ثبتت لدى المعرب الفرنسي والمؤرخ الذي كتب عن تراره (روني باري) أن عبد المؤمن يكون من أصل مسيردي، إلا أنه توفي في مزراغين بندرومة على خلاف الاعتقاد الأول (بني زناسن ويشير المؤرخ أن المسجد الواقع في " بيدر " آنذاك قد أهدي لعبد المؤمن في حين يعتقد أنه شيد لتخليد عبد ا المؤمن القرطبي(Gabriel Audissio , P : 84)

يرجع الباحث "مصطفى براندو" الى أن تسمية " مسيردة " في تقدير " روني ماسي " جماعية و انها جاءت نتيجة مرور خلدون بالمنطقة ، و هو يرى أن عبد المؤمن القومي بعد توليه السلطة الموحدية ١١٣٠ م حطم في معركة واحدة مجموعتين غماريتين إحداهما من " مزردع ، وهذه المعركة التي يشير إليها دارت رحاها في " تاسغيموت " جنوب غرب مراكش، والغماريون ليسوا من أصل زناتي كما هو الحال بالنسبة لمسيردة حيث يتعذر تعريف " مزردع " MZIRDA " " التي يتحدث عنها ابن خلدون (مصطفى براندو، ص٠٤.(

_4تواجد الاستعمار الفرنسي بمنطقة بيدر"مسيردة :"

يوضح كل من الباحثين أبناء المنطقة" مرتاض نجية، حوالف لطيفة، عزالدين تربش، مصطفى براندو، درفوف محمد، انطلاقا من دراسة ،Gabriel Audissio، واعتمادا على المقابلات الشفوية لبعض أهالي المنطقة، من خلال دراساتهم التي جمعت بين الدراسات اللهجية والتراثية" احتفاليات الزواج، الغناء...."، بحيث يجتمعون على أن القبائل المسيردية انقسمت إلى فصيلتين يفصل بينهما الطريق الوطني رقم سبعة الرابط بين مغنية ومرسى بن مهيدي ، بعد أن سقطت تحت السيطرة الفرنسية، القسم الشمالي بين البحر والطريق بمسيردة التحاتة : تحت قيادة الجنرال ، بيدو عام ١٨٤٣ ، وسمي القسم الجنوبي بين الطريق

والحدود الجزائرية المغربية بمسيردة الفواقة : تحت قيادة الجنرال لمؤسير في عام ١٨٤٤ (عزالدين تربش، ص٠٩).. وظلت تسمية مسيردة متداولة رسميا وبين أهل المنطقة حتى يومنا هذا .
لما احتلت فرنسا الجزائر كانت " مسيردة " من القبائل التي تصدت لهذا الاحتلال حيث أكد قائد ندرومة " النقاش " رفض مسيردة تقديم ولائها للجنرال " كافينياك " في مارس ١٨٤٦ إذ يفهم هذا الكلام صراحة مما قاله سكان " سواحلية " و" جبالة " للقائد النقاش : تقدم ولاءنا للجنرال ولا ننتظر سكان مسيردة أو غيرهم .(Azan Paul P 369) إذ لم يكن من السهل أن تستلم مسيردة للعدو. وما البلاء الحسن الذي أبدته مع الأمير عبد القادر في معركة الكركور " بسيدي إبراهيم لخير دليل على ذلك و باعتراف العدو الفرنسي كذلك.
توجه الجنرال " كافينياك " في أوائل جوان ١٨٤٨ م منطلقا من " لالة مغنية " ليثأر لهزيمته الشنعاء معركة سيدي إبراهيم في تسعة فيالق و تسعة سرايا و بطارية مدرعة .(Azan Paul P 369) وقد حقق أمنيته و انتقم لموتاه بسيدي إبراهيم (Azan Paul P 369) وبعد أن تخلت القبائل المغربية عن الوقوف بجانب الأمير عبد القادر و طرده مولاي عبد الرحمن من سهل " ملوية "، وحد كل الحفاوة و الاستقبال عند أهل مسيردة (Azan Paul P 369) قسم الاحتلال الفرنسي المنطقة إلى قسمين يفصل بينهما الطريق الوطني رقم ٧ الرابط مغنية بمرسى ابن مهيدي . فالقسم الشمالي بين البحر والطريق " مسيردة تحاتة " بقيادة الجنرال (بيدو، (BEDAUفي سنة ١٨٤٣ .
أما القسم الجنوبي بين الطريق الوطني والحدود الجزائرية المغربية بقيادة الجنرال الموريسيير " Lamericièreمسيردة الفاقة(Augustine Bernard, P;393) " ، وظلت المنطقة ترزح تحت ضغط الحكم العسكري إلى غاية ١٩٢٢ م حيث خضعت للسلطة المدنية . وعليه قسمت إلى عدة دواوير : لبحاثة، بني سدرات، لقزاوة ، ورياش بيدر، أولاد بن عايد ، أولاد سيدي سليمان، اولاد بن يحيى ، لمهادة ، لكواردة ، اولاد بن عيني، أغرم، لعنابرة، لهوارن، (Gabriel Audissio, P: 87)و عليه ظلت هذه التسمية المتداولة رسميا وبين أهل المنطقة. (مصطفى براندو، ص٠٥.(
_ 5الولي الصالح سيدي عبد المومن بو القبرين
يعتبر الولي الصالح العالم العلامة الشريف النسب المعروف : بذي القبرين سيدي عبد المومن بن علي بن يوسف بن عبد الله بن إبراهيم بن عمر بن سليمان بن داود بن كثير بن إدريس الثاني بن إدريس الأول بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن فاطمة الزهراء بنت محمد رسول الله ﷺ قدم سيدي عبد المومن من الأندلس إلى هذا المكان المسمى بيدر في القرن الخامس هجري. ويه أقام للعبادة والتعليم، حتى التحق بالرفيق الأعلى وبعد وفاته ومواراته التراب هذا المكان ، جاء الورطاسيون من المغرب ليلا، ونقلوه عندهم تم استرجعه أهل بيدر إليهم تدخل رجل حكيم في الأمر وقال: إني رأيت سيدي عبد المومن في المنام وقال لي أنا دفين المكانين بيدر وورطاس، فاقتنع الناس بالقول وأغمدوا سلاحهم ، وسموه بأبو قيرين. من رجال المدينة وصاحب الفضل في استمرار حرفة الفخار في المنطقة نظرا لكونه من عائلة حرفية امتهنت حرفة الفخار وحافظت عليها منذ القدم فقد استطاع ان يجعل منها حرفة مقدسة يقتات منها اهل المنطقة ويورثونها جيل بعد جيل حتي اصبحت لتلك العائلات مكانة مميزة داخل المجتمع وهي مكانة المرابطين نسبة الى جدهم المرابط صاحب القبر الشريف.
_6طريقة تحضير الطين
يمثل الطين أو الصلصال، المادة الأساسية لصناعة الأواني الفخارية بمنطقة بيدر، حيث تقوم النسوة رفقة أهلها الى التوجه نحو المقلع المجاور لسكناتهم أين تختار نوعية معينة منها الجاهزة، والتي تكون قد تشبعت بالماء بعد نزول الماء، ثم جفت بفعل حرارة الشمس التي مرت عليها أسابيع، بمعنى حينما تصبح

سهلة الانكسار والتفتت، أين يعمد الطيان الى الاعتماد على خبرته في تحديد واختيار الطينة الملائمة في عملية إلغاء القشرة الأولى تم حفر ما تحتها لما بها شوائب" ازالة الشوائب، حصى، أعشاب،..."، وذلك باستعمال الفأس والمعول للحفر، التي تليها عملية ملئ الأكياس ثم حملها على ظهر الحمار على متن" الخرج" أو" الشواري". حيث تتم هذه العملية عن طريق التويزة بعد أن يجتمع الرجال لجلب الطين والحطب وروث البقر، مسخرين بذلك أدواتهم اللازمة من دواب وفؤوس ومعاول والشبكة المصنوعة من عمودين من الخشب متصلين بشبكة من الحبال مشكلين بذلك لعبة الشطرنج أو شكل بيت العنكبوت وحبال منفصلة لشد الشبكة. وذلك لاستعماله في طهي الفخار

أما اليوم أصبحت العملية تقتصر على الأب والأخوة وعامل يومي، يقومون بعملية شحن وتوظب الطين وجلبها على متن الجرار. حيث تسهر أسرة درنوح على العمل لوحدها بسبب امتلاكها كل مقومات عملية شحن الطين والحطب، في حين تشترك اسرة قلقول مع اسرة أخرى جارة لها في مشاركتها العملية، معتمدين عبارة محلية " يقول الرجل هيا نذهب إلى الواد" الواد حمل" نترافقوا"،بمعنى جلب الطين والحطب .

-1 تحضير العجينة

يمر تحضر " التلاخ" أو الطين بقرية بيدر بعدة مراحل قبل تشكل العجينة لتصبح جاهزة للاستعمال:

يتم جلب " التلاخ" + الرمل الناعم. الى ساحة المنزل لمباشرة عملية سحقه بعد تنظيفه من الشوائب ثم دقه بالرزامة. وهي عبارة قطعة من خشب تتفاوت حجمها حسب مقدور الإنسان وقوته في عملية الدق تجعل التلاخ في شكل " عرام" عروم" يعني كومة من التلاخ الجاف ثم يمر على الغربال " شطاطو" هناك نوعان ذو المسامات العريضة يستعمل التلاخ أما المسامات الرقيقة يستعمل للرمل.

نقوم بعملية التكيال" أو نعبر أو نكيل حسب حجم الأواني التي تتم صناعتها.

3كيلات طين: مقابل ٢ رمل ٣/٢.

3 _كيلات طين: ١,٥ رمل: بقايا الأواني الفخارية المكسرة بسمى تفون، أفرور ،شلموث: "٣/١,٥/٠,٥.نضعه في حوض بلاستيكي لمدة ثمانية واربعين ساعة لتصبح رطبة حتى تستعمل خاص في الأواني التي يتم وضعها على النار.

عملية تجسير الفخار المكسور نقوم بإضافة الورق إلى العجينة ورق القالب السكر أو روث الحيوان هو الذي يقوم بعملية التجسير، كما تحرص على ازالة البقع الهوائية على الطين تجنبا لانكساره بسرعة.

اذن عملية تحضير العجينة تشبه الى حد بعيد تحضيرها في منطقة تيزي وزو" معاتقة" وشنوة، حسب ما ذكره الباحث عبد الناصر بوردوز " تبدأ الطيّانة بوضع الكتل الطينة الجافة في ساحة الدار ، ثم تقوم بتكسيرها، وتنقيها من الشوائب المضرّة، لأن هذه الأخيرة، تؤثر على الطين أثناء التشكيل، أو أثناء عملية الحرق، ثم تسحقها بالرحى اليدوية التقليدية، وتغربلها لتعطيها ترابا متجانسا نقيّا، ثم تمزجها بالماء في حوض بلاستيكي للتخمر لمدة من ٢٤ إلى٤٨ساعة، والغرض من هذه العملية، تشريب التربة بالماء إلى حدّ الشّبع. يضاف إلى الطين "المثبّتُ "، وهو عبارة عن رمل ناعم، ناتج عن فخّار محروق مهروس بكيفية جيّدة، يكسب المثبّتُ العجينة خصائصها ال لّدنة اللازمة، ويحول دون التصاق الطين " afrur. يسمّى محلّيا ب" أَفْرُورْ باليد، كما يعتبر عاملا أساسيا لصلابة الأواني بعد عملية الحرق والطهي".(عبد الناصر بوردوز، ص٠٥(

-3تقنية التشكيل:

_1نقوم بأخذ مقدار من الطين ونشكله على شكل هرم نقوم بضربه على اللوحة التي هي على تورنات" الدوار" حيث تتشكل القاعدة، واليد اليسرى تقبض واليمنى تضغط في الوسط والقيام بعملية جذب بالإبهام

بشكله المعكوف تكون العملية على شكل دائري وبعدها نقوم بجلب اللوحة "المشطة" أين يتغير وضعية اليد اليسرى من الداخل واليمنى يقوم بعملية تمشيط من الخارج.

_نقوم بتشكيل الجبال بالطين " نخلفهم" ونقوم بلفها عليها وإلصاقهما مع بعضهما البعض، ثم يعود إلى المشط لتسوية العجينة.

_نقوم بجلب الحجرة " لخرط ودعز" العجينة من الداخل والشكل يكون مبرمج مسبقا في الرأس.

_قبل العمل يجب أن نقوم بعملية تصميم أشكال ويجب أن يكون لديها معنى.

-4الأدوات التشكيل:

_الحجارة. " تامغرا" هي حجارة نضعها في إناء من الطين ونقوم بعملية حكه حتى يخرج منه اللون المطلوب، لأنها الاولى التي استعملت في عملية التلوين، هي الاولى من تنزل على الطين قبل عملية الطهي والضرو بعد الطهي. الريشة تستعمل في تامغرا" ورقة الديس" يسمى الرقام " تمغر" به. والديس لتمغار.

_اللوحة المشطة.

_قطعة قماش "الجلدة ."cuir :ازالة الشوائب

_المنجل: الكراط.

_حجرة نتع الصم تضع عليها الرمل وتضع فوقها اللوحة.

_تورنات" الدوار" لتدوير اللوحة.

_إناء بلاستيكي به ماء.

_العود من أجل تلمس الأمور الصغيرة.

_الترقيم: هو مصنوع من شعر المعز والطين(penseaux) ، الرقام للترقيم

نقوم بعملية تشكل الأواني نقوم بتركها في الظل وبعدما تجف تخرج إلى الشمس ساعة أو ساعتين، ثم نقوم بعملية الحك الذي يتطلب منا جلب الطين المبلل في الماء مع الحجرة من أجل نزع الشوائب عليه. ننتظر إلى غاية الساعة الرابعة من أجل إدخاله في الفرن التقليدي الذي يشتغل بالحطب. تشبه هذه العملية الى حد كبير ما تقوم به المرأة في منطقة تيزي وزو" معاتقة" وشنوة، مع اختلاف في تسمية بعض الادوات المستعملة مثل حجر الترقيم يدعى " تامغرا" في منطقة بيدر، (و إَسَذْلي في منطقة تيزي وزو" معاتقة" وشنوة)، (عبد الناصر بوردوز، ص٠٥(

-5عملية بناء أفران الطهي

_الفرن: مبني بالتراب(الطين) والحجر دائري الشكل، يحتوي على الفم من الفوق يتم وضع الفخار ومن الفم يتم وضع الحطب" الكاليتوس، الشيح، ميرمان، القندول، الخروب" تحت قطبان الحديد الذي يكون في وضعيتين.

حيث يتم بناء "السينية " أولا والتي يتفرغ عنها أقطاب من حديد بشكل متسلسل بحيث دفع لحطب خطوة خطوة ويتم تسخين الفرن لمدة ساعتين ويتم دفع الحطب من ٥ ساعات إلى غاية ٧ ساعات.

في الصيف: الفرن الكبير: ٥ ساعات.

الفرن الصغير: ٣ساعات.

في الشتاء: الفرن الكبير: ٧ ساعات.

الفرن الصغير: ٤ ساعات.

_يتم تغطية الفرن "بالشقوف" وهي عبارة عن فخار مكسور حتى يستطيع التهوية أكثر ويبقى في الفرن الليل كامل داخله إلى غاية الصباح، الفم يتم غلقه حتى لا يدخل الهواء. وتنطفىء النار، ولا يتم إخراجه إلا في اليوم الموالي.

*ألوان الفخار بمنطقة بيدر :

_الأبيض. " الأبيض هو الجاهز مطهو جيدا خصوصا التي يضع فيها الماء.

_البني

_الأحمر: ليس جاهز بمعنى لا يزال في شكله الغير مكتمل غير مطهو جيدا.

_البوش: ٢٠ لتر/١٠ لتر .

{ بوش يستعمل للماء

_ البوش الصغير الحجم يسمى : " جديو" "جديوة". ٢ لتر/٥لتر

_القصرية تستعمل لمخض الحليب. تتكون من مدخلين بدون يدين.

_الخابية: بنية اللون : تستعمل للعولة والتخزين " الحبوب الجافة" الفول ،الحمص...

_ قلة الماء كبيرة الحجم: لون أبيض.

_حامل الشموع: ابتكار جديد من طرف الحرفيات حيث تحصلن به على المرتبة الاولى وطنيا في معرض حول الحرف التقليدية الشمعدان: الذكرى الخمسين للاستقلال الجزائر.

_مصابيح التنوير قديمة كانت تعمل باستخدام الزيت

_مصابيح فيوز: ابتكار جديد من طرف الحرفيات

-7رمزية الأشكال الهندسية

الخط المتعرج:

يرمز الخط المتعرج إلى ذيل السحالي التي تعتبر من أهم رموز الخصوبة، كما يشير الخط المتعرج أيضا عند كثر من القبائل إلى الرزق (محمد على عبده، واتل حمدي القاضي ص١٩٢(

الخطوط المتوازية:

الخطوط المتوازية إذا وضعت أسفل العين فتدل على الشراسة العدوانية (١-١٧) وأحيانا تستخدم كوسيلة للتعارف بين أفراد القبيلة الواحدة (محمد على عبده، واتل حمدي القاضي١٩٢(

الهرم:

يرمز الشكل الهرمى إلى السلطة والمكانة الاجتماعية (محمد على عبده، واتل حمدي القاضي١٩٣(

الشكل البيضاوي:

يرمز الشكل البيضاوي إلى الجمال الأنثوي وللدلالة على خصوبة المرأة وأنوقها (محمد على عبده، واتل حمدي القاضي١٩٣(

الدوائر ذات المركز الواحد:

يعد هذا الشكل من أشهر الرموز التي تعبر عن الملك وأحيانا يرمز إلى البحيرات والمحار و الصدف (محمد على عبده، واتل حمدي القاضي١٩٤(

الشكل المربع:

يرمز المربع إلى القوة السحرية وأحيانا إلى المنصب الرفيع خاصة إذا وضع على الجبهة (محمد على عبده، واتل حمدى القاضى ص١٩٤(

الشكل المعين:

يرمز شكل المعين إلى ظهر التمساح أو إلى نوع من أنواع السحالي (محمد على عبده، وائل حمدي القاضي١٩٤(

المثلث المتساوي الأضلاع:

يرمز هذا المثلث إلى الظواهر الكونية والإتزان الكونى ، والمثلث إذ وضع بجوار الفم فيرمز إلى العين الشريرة أما المثلث المقلوب فهو يعتبر رمزا أنثويا يوحى بالمرأة (محمد على عبده، وائل حمدي القاضي١٩٣ (

_المثلث تعني الزوايا الثلاثة هي : المرأة والرجل والاطفال، وكذلك ترمز إلى الأبواب

_المثلث الى الاعلى: المرأة

_المثلث الى الاسفل: الرجل

الخطوط البعيدة: الهناء والسعادة.

_الخطوط العريضة: منشرحة في حياتها.

_الخطوط المنكسرة: أمواج البحر.

_الخطوط العمودية: الخط العمودي: يرمز إلى الثعبان وعادة إلى الخلود، ويرمز أيضا إلى القوة الرجولية، و أيضا هو رمز لحارس الأماكن.

نجد شكلا للشبكة التي تستعمل في الأعمال الفلاحية والتي تستخدم في موسم الحصاد،بحيث يحمل الفلاحون فوق ظهر الدواب حزمات القمح، أو الشعير إلى النادر" وهو مكان تجميع حزمات القمح لدرسه فيما بعد"، تشبه أوتتمثل عند التصوير في المربّع ذي الخطوط الرفيعة المتقاطعة، غير الملوّنة. ويشبه هذا الشكل، شكل لعبة الشطرنج، أي مربعاته ممتلئة، متلوّنة بالتناوب، ترمز إلى خليّة النحل، بالإضافة إلى أشكال أخرى كالضفدع، والسحلية، والعنكبوت، في الميثلوجيا القديمة اليونانية والرومانية والفرعونية كما لاحظنا وجودها في مربعات سحرية قديمة وكذلك في الأوفاق والاطلاسيم، هذا ما يدل على ان لهذا الخطوط معاني روحية ودينية ارتبطت بها وبالخصوبة وبالارض كما كانت لها علاقة وطيدة بالاسطورة هذا دليل على أن فخار بيدر قديم يحاكي الفترة الزمنية القديمة التي تعود إلى القرن الثالث قبل لميلاد.

_الدائرة: تعبر عن الشمس مع الرقمة الخاصة بالمنطقة.

_المربع: يكون مرفق بالرشم الخاص بالمنطقة.

_الأزهار: هو عبارة عن إبداع شيء جديد.

تعتبر صناعة الفخار موروثا حضاريا ودليلا ثقافيا حيث أضحت وجهة سياحية بدون تأشيرة ، و تعد نشأة صناعة الفخار بالجزائر تلبية لحاجيات المواطن المعيشية و مورد رزق لعشرات العائلات و تحمل بساطتها هوية الوطن بكل أبعادها .

فمنطقة بيدر بتلمسان لازالت تحافظ على موروثها الثقافي والهوياتي بفضل هذه الصناعة التي تتفنن فيها أنامل النسوة رغم استعمالهن لطرق ووسائل جد تقليدية إلا أنهن يعتمدن صناعة الأواني الفخارية من أجل الاستعمال والتجارة، حيث يتم جمع الطين من الجبل ليغربل فيما بعد ويمزج مع بقايا الأواني الفخارية الهشة ليتحول إلى مورد رزق المئات من العائلات توراثت المهنة أبا عن جد .

ترى الباحثة أمينة سماتي أن هذه المصنوعات تختلف تسمياتها وتتعدد أشكالها الفنية التي زادتها روعة الرسومات المميزة التي تحمل عبق الماضي وتاريخ الأجداد ليبقى أمل هؤلاء النسوة القاطنات بالأماكن الريفية في التفاتة من الجهات الوصية في دعم يحققن به طموحهن وآمالهن في صناعة الفخار، حيث تعد هاته الصناعة أقدم صناعة ارتبطت بوجود الإنسان منذ الأمد البعيد فأصبحت اليوم حرفة وتراثا شعبيا يعبر عن الأصالة والتاريخ المرتبط بالحضارة ليجسده الفخار في أشكال وألوان عرف الإنسان كيف يحول

من خلالها الطين إلى مادة صلبة بالاستعانة بالنار واستعمال الدولاب الذي أحدث ثورة في كمية الإنتاج ووسائل بسيطة ورسومات معبرة هي الوصفة السحرية التي جعلت الفخار سفيرا بامتياز)." https://elhiwar.dz/culture/161598)

-8صناعة تقاوم الاندثار

تعتبر الصناعات التقليدية وصناعة الفخار من أهم الصناعات التقليدية في الجزائر، حيث ارتبطت صناعة الفخار بوجود الإنسان منذ القدم واستمرت بقوة الإنتاج نفسه حيث أصبحت اليوم نوعا من التراث الثمين ورمزا من رموز الأصالة والتاريخ خصوصا في الجزائر حيث تعتبر صناعة الفخار واحدة من الصناعات التقليدية التي لازالت مستمرة حتى اليوم ورغم انتشار صناعة الفخار في العالم إلا أن للجزائر لمسة خاصة حيث منحها موقعها بمحاذاة البحر الأبيض المتوسط ريادة في هذه الصناعة فلا نجد منطقة في الجزائر لا تصنع الفخار أو تقتنيه في بيوتها للاستعمال والزينة، كما أن للفخار الجزائري نوعان منها النوع الريفية وهو موجود بكثرة و بشكل مركز في الريف والقرى والقبائل وتعد من موروثاتها الفنية وتأخذ إلهامها وديكوراتها من الرموز القديمة ويظهر التنوع في منتجاتها فنجد الجرار والمزهريات وأواني الطعام والأباريق ومما دعم بقاء واستمرار هذه الصناعة في القرى والقبائل هو اعتماد المطبخ الجزائري على الأواني الفخارية بشكل كبير حيث تستعمل بشكل أساسي للطاحيين وحفظ الزيت وشرب الحليب وحفظ الزبدة، أما النوع الثاني الموجودة بالمدنية فهي تختلف عن الريفية بكثرة استعمالها للديكورات وتأثرها الكبير بالفن الإسلامي والخطوط العربية وطرق التزيين وكثرة استعمال الأزهار والأشكال الهندسية، تعتبر الطينة الحمراء طوبية اللون المادة الأساسية في صنع الفخار بالإضافة إلى بعض المواد الأخرى التي تجعل من الطينة مادة سهلة التشكيل وقد يستخدم الفخار بلونه الطبيعي وهو اللون المائل إلى الاحمر وقد تضاف بعض الصبغات والأكاسيد المعدنية لتغيير اللون أو ترسم عليه بعض الرسومات للزينة مثل الأزهار والأشكال الهندسية.

خاتمة:

يبقى صناع الفخار يترنحون على رمال متحركة في انتظار من يمدهم بالمساعدة للمحافظة على هذا الإرث الحضاري العريق اذ هو يحاكي الحاضر من عادات، وتقاليد، وفنون، ومقتنيات مادية، وغير ذلك عن أسلافه؛ حيث يعتبر التراث الشعبي علامةً مميزة وفارقة لكل شعب، بحيث يتميّز به عن باقي الشعوب الأخرى، وتتشكّل به هويته الخاصة. أمّا التراث الإنساني فهو أوسع من التراث الشعبي؛ إذ يتكوّن من كلّ ما توارثته الشعوب الإنسانية عن أسلافها جيلاً بعد جيل، وحضارة بعد حضارة، إلى أن صار التراث اليوم غنيّاً جداً بمكوّناته وعناصره. ومن هنا فإنّ الحفاظ على التراث يُعتبر من أولى الأولويات على الإطلاق، غير أنّ العولمة ونمط الحياة المتسارع صعَّب المهمة بشكل كبير على المهتمين بحفظ تراثهم وتوريثه للأجيال اللاحقة. من أهمّ طرق الحفاظ على التراث تعريف النشء الجديد به في المدارس ومنذ الصغر؛ حيث يكون ذلك من خلال الطرق المناسبة التي تتناسب مع كافة المراحل العمرية. إلى جانب ذلك فإنّ مسؤولية الحفاظ على التراث تقع أيضاً على عاتق الأهل في البيت، فتنصل الأهل من هذه المسؤولية مع ميل البعض منهم إلى حشو أدمغة الأطفال بمبادئ الثقافات الدخيلة واللاإنسانية في بعض الأحيان قد يعمل على استبدال التراث بما يتضمّنه من مكوّنات جميلة وسامية بالأفكار الهدّامة ممّا سيؤدّي في نهاية المطاف إلى ضياع الهويات الخاصّة بالشعوب المختلفة. بالإضافة إلى ما سبق، فإنّ مسؤولية الحفاظ على التراث تقع أيضاً على عاتق الدولة نفسها؛ فسعي الدولة إلى التطوّر لا يجب أن يمنعها من الحفاظ على تراثها، وأصالتها، وعاداتها، وتقاليدها، وهناك العديد من التجارب الناجحة التي تؤكّد على إمكانية القيام بذلك والجمع ما بين الأصالة والمعاصرة(https://www.oltmedea.dz/2020/04/21)

النتائج النهائية

_هذه المصنوعات تختلف تسمياتها وتتعدد الأشكالها الفنية التي زادتها روعة الرسومات المميزة التي تحمل عبق الماضي وتاريخ الأجداد ليبقى أمل هؤلاء النسوة القاطنات بالأماكن الريفية في التفاتة من الجهات الوصية في دعم يحققن به طموحهن وآمالهن في صناعة الفخار، حيث تعد هاته الصناعة أقدم صناعة ارتبطت بوجود الإنسان منذ الأمد البعيد فأصبحت اليوم حرفة وتراثا شعبيا يعبر عن الأصالة والتاريخ المرتبط بالحضارة ليجسده الفخار في أشكال وألوان عرف الإنسان كيف يحول من خلالها الطين إلى مادة صلبة بالاستعانة بالنار واستعمال الدولاب الذي أحدث ثورة في كمية الإنتاج ووسائل بسيطة ورسومات معبرة هي الوصفة السحرية التي جعلت الفخار سفيرا بامتياز. "

-تعتبر الطين المادة الأساسية في صنع الفخار بالإضافة إلى بعض المواد الأخرى التي تجعل من الطين مادة سهلة التشكيل وقد يستخدم الفخار بلونه الطبيعي وقد تضاف اليه بعض الصبغات والأكاسيد المعدنية لتغيير اللون أو ترسم عليه بعض الرسومات للزينة مثل الأزهار والأشكال الهندسية، حيث يعتمد فيه الحرفي على أسلوب تيديس الذي يعود إلى القرن الثالث قبل لميلاد.

التوصيات

_الاهتمام بالرموز والاشكال الهندسية في محاولة للكشف عن الهوية ومدي فاعليتها عبر العصور " قراءة التاريخ من خلل الرموز والاشكال الهندسية الموجودة بالفخاريات

_تشكيل ورشات علمية تضم مختلف باحثين من الاقطار العربية تعمل على تحليل الرموز والاشكال الهندسية ذات الصلة بالهوية العربية والاسلامية

_تشجيع وتحفيز الباحثين للاهتمام بالبحث في مجال التراث الامادي مع التفكير في انشاء منظمة عربية تسهر على تصنيف التراث العربي من خلال انشاء مراكز بحث عربية مختلطة تعمل على ترسيخ الهوية العربية الاسلامية

_الاهتمام بالحرفين العرب من خلال انشاء المعارض والمهرجانات قصد تبادل الخبرات وايجاد اسواق لتعريف وتسويق المنتجات التراثية

_الاهتمام اكثر بالمجتمع المدني من الجمعيات الحرفية وتوعيتهم بدورهم الفعال في الحفاظ على الموروث الثقافي من خلال عملية التكوين واهميته

_التأكيد على اهمية المتاحف في عملية العرض والترويج وترسيخ الهوية الوطنية من خلال التظاهرات العلمية والمعارض الواقعية من خلال اشراك التلاميذ في عملية الحفاظ على التراث ضمن اشراكه في ورشات تدريبية مع الحرفيين

المراجع:

_محمد حسين الفرح (٢٠١٠) عروبة البربر، اصدارات تريم عاصمة الثقافة الاسلامية، صنعاء

_محمد على عبده، واتل حمدى القاضى، نجلاء نبيل عثمان، آية ماجد عطية محمود منصور، (أبريل ٢٠٢٠) الدلالات الرمزية والتعبيرية للرموز الهندسية فى الفن الافريقى، المجلة المصرية للدراسات المتخصصة - المجلد (٧) العدد (٢٦.

_مصطفى براندو،(٢٠٠٠) الامثال الشعبية بمنطقة مسيردة جمع ودراسة، مذكرة ماجستير، قسم الثقافة الشعبية ، جامعة تلمسان

_محاضرة بن يوب محمد " فخاريات بيدر، دراسة انثروبولوجية وتاريخية يوم ٢٠٢١/١٠/١٧

_عزالدين تربش،(٢٠١٠) الموسيقى الفلكلورية ودلالتها الثقافية فرقة العرفة بمنطقة مسيردة انموذجا، مذكرة ماجستير، قسم الثقافة الشعبية ،، جامعة تلمسان

_عبد الناصر بوردوز(٢٠١٧) سيدي سميان (تيبازة) مهارات عتيقة، طقوس، ورموز، CNRPH, مجلة الإنسان والمجتمع، مجلد ٠٧ العدد١٣
_ Azan Paul . Sidi Ibrahime . Revue D'Afrique , l'auditeur millitaire 10 Rue D'auton Bd St jermain .
_ Augustine Bernard . Voir le texte de ce traité dans les confins Algéro - Marocaines
_ El Bekri Abou Oubayd: (1911)Déscription de l'Afrique_Edition de slave,Alger
_ Gabriel Audissio, (1927) Société de géographie ,Revue Africaine , N ° 68 , Alger
_ https://elhiwar.dz/culture/161598
_ https://www.oltmedea.dz/2020/04/21